خطاب الإخوة في القرآن الكريم
بين المقصدية التداولية وتشكيل الصورة الفنية (سورة يوسف أنموذجًا)

د. خالد كمال محمد الطاهر
أستاذ الأدب والنقد المشارك في جامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية
وفي جامعة الأزهر بالقاهرة
kaltaher@ut.edu.sa

تاريخ الإرسال: 2020/03/01	تاريخ القبول: 2020/05/20	تاريخ النشر: 2020/06/01

Abstract:

This research provides an analytical study of the descent of the brothers of lineage in the Holy Qur’an without other types of brotherhood, and the speech of Joseph and his brothers was an applied model for it, because of its features, such as the diversity of emotions and their overlapping, the multiplicity of purposes, the difference in results, the chase of the viewer, and the expression of successive times, And in several places, as well as multiple speech positions between the parties to the speech.

It is a study that aims to combine two approaches that may seem temporally or procedurally distant, but they are similar in substance and concepts, namely: the technical approach, and the deliberative approach, in an attempt to understand some of the data of the Qur’anic text. (Al-Maqsadiyah) is a meeting point between the mechanisms of (technical .photography) and (deliberative analysis) in the discursive / Quranic scenes

key words :The speech, Destination, Pragmatics, figure form, The Holy Quran, The brothers, Context.

مُلخَّص البحث

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية لخطاب إخوة النسب في القرآن الكريم دون غيرها من أنماط الأخوة، وكان خطاب يوسف υ وإخوته أنموذجًا تطبيقيًا لها؛ لِما له من سمات، كتنوع العواطف

وتداخلها، وتعدد المقاصد، واختلاف النتائج، وتلاحق المشاهد، والتعبير عن حقب زمانية متوالية، وفي أماكن متعددة، فضلًا عن تعدد المواقف الخطابية بين أطراف الخطاب.

وهي دراسة تهدف إلى الدمج بين منهجين قد يبدوان متباعدين زمانيًا أو إجرائيًا، لكنهما متقاربان في الجوهر والمفاهيم، هما: المنهج الفني، والمنهج التداولي، في محاولةٍ لفهم بعض معطيات النص القرآني، واستكناه طرف من أسراره الجمالية، وقيمه الفنية والتربوية؛ حيث اتخذت الدراسة من (المقصدية) نقطة تلاقٍ بين آليات (التصوير الفني) و(التحليل التداولي) في ثنايا المشاهد الخطابية/ القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، المقصدية، التداولية، الصورة الفنية، القرآن الكريم، الإخوة، السياق .

المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام علي النبي الأكرم، محمد بن عبد الله، خير من نطق بالبيان، وأفصح بجوامع الكلم عن أبلغ لسان.. وبعد.

فالعلاقات الاجتماعية هي العروة الوثقى التي تربط الإنسان بأخيه الإنسان، في سبيل تحقيق عمارة الأرض التي استخلفه الله فيها. وبناء تلك العلاقات الاجتماعية هو أحد المقاصد السامية التي خلق الله الناس لأجلها، وأهم الأركان التي ينهض عليها بناء المجتمع الحضاري المسلم: **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)**الحجرات: 13. لذا، كانت عناية القرآن الكريم بالعلاقات الاجتماعية فريدة، لا سيما علاقة الأُخوَّةِ بأبعادها المختلفة، وصورها المتعددة، ومنها: أُخوَّة النسب كقوله تعالى:**[وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ)** يوسف: 58، وأخوة القبيلة: **[وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) [وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا)** الأعراف: 65، 73، وأخوة الدين، والمتابعة: **[فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)** آل عمران: 103، وأخوة المودة والمحبة: **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)** الحجرات: 10، وأخوة المصاحبة: **[إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً)** ص: 23.

وقد عُني هذا البحث بدراسة الخطاب القرآني المتصل بأخوة النسب[1]؛ لخصوصيتها، وحقيقيتها، ثم اتُّخِذ منها خطاب يوسف υ وإخوته أنموذجًا للدراسة؛ خشية أن يتضخم البحث حال تناول كافة خطابات ذلك النَّسَقِ القرآني وفق المنهج المخطط له، ولِما يمثله خطاب

يوسف υ وإخوته من سمات جامعة، كتنوع العواطف وتداخلها، وتعدد المقاصد، واختلاف النتائج، وتلاحق المشاهد، والتعبير عن حقب زمانية متوالية، وفي أماكن متعددة، فضلًا عن تعدد المواقف الخطابية بين أطراف الخطاب، فكان هذا البحث بعنوان (**خطاب الإخوة في القرآن الكريم بين المقصدية التداولية وتشكيل الصورة الفنية – سورة يوسف أنموذجًا**)

ولعل هذا العنوان يشير إلى أن البحث يهدف إلى الدمج بين منهجين قد يبدوان متباعدين زمانيًا أو إجرائيًا، لكنهما متقاربان في الجوهر المفاهيم، هما: المنهج الفني، والمنهج التداولي، في محاولةٍ لفهم بعض معطيات النص القرآني، واستكناه طرف من أسراره الجمالية، وقيمه الفنية والتربوية؛ دحضًا للاعتقاد بالتعارض بين المنهجين، وجريًا على غير العادة في تناول النص وفق منهج واحد من المنهجين، ومن دلائل تحقيق ذلك الدمج أن تشتمل عناصر الصور الفنية بعض الاستراتيجيات والآليات التداولية التي تحقق (مقصدية الخطاب) منطوقًا ومضمونًا، بوصف (المقصدية) مكونًا من مكونات المنهجين معًا. فضلًا عن تأثيرها في الاستراتيجيات التداولية الأخرى، كالسياق (أو المقام)، والأفعال الكلامية، والحجاج، والاستلزام الحواري...

وثمت أهداف أخرى يسعى البحث حثيثًا إليها، منها:

- زيادة الوعي بأهمية الإنتاج المعرفي القائم على التآزر بين قيم التراث، ومستجدات المناهج اللسانية والنقدية الحديثة في ميدان الدراسات القرآنية، بشرط مراعاة خصوصية النص القرآني وقدسيته، فيظل النص القرآني مُحتكمًا إليه لا مَحكومًا عليه.

- التعرف على مدى الاتفاق والاختلاف بين مفهوم المقصدية عند علماء الشرع، وعلماء اللغة، وصلاحية (المقصدية) لأن تكون مدخلًا لدراسة النصوص الشرعية وفق معطيات المنهج التداولي.

- دراسة أثر المقصدية، أو المقاصد في تشكيل عناصر الصورة الفنية (القرآنية) في خطاب الإخوة من حيث المفردات، والتراكيب، والأساليب، والصور الجزئية، وفيما يقابلها من الأبعاد التداولية.

وقد اقتضى هذا المنهج في دراسة مادة البحث تقسيمه إلى مبحثين، بيانهما كالآتي:

المبحث الأول: مقاربات مفاهيمية. وفيه عرضت بإيجاز أهم المصطلحات التي دار حولها البحث، والواردة في عنوانه، وعلاقة بعضها ببعض، والقواسم المشتركة بينها، نحو: الخطاب،

والخطاب القرآني، والمقصدية، والمقصدية والخطاب، والمقصدية والسياق، والمقصدية بوصفها قاسمًا مشتركًا، والتصوير الفني، والتداولية.

المبحث الثاني: خطاب يوسف υ وإخوته (المقاصد والتحليل الفني التداولي). وفي تمهيده تعريف بسورة يوسف، والمقاصد العامة منها، ثم اشتمل على تحليل كلي، ودراسة تطبيقية لخطاب يوسف υ وإخوته من خلال المشاهد التصويرية لكل موقف خطابي، وقد وضعت لكل مشهد تسمية كما يلي: (الخطاب الأول: الحسد والتآمر)، (الخطاب الثاني: البشارة والتمكين)، (الخطاب الثالث: مكر الله ليوسف υ)، (الخطاب الرابع: المواجهة بين يوسف وإخوته).

وأخيرا، جاءت الخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وبعد، فهذا جهد المُقِلّ، أقدمه بين يدي قارئة الكريم، علَّه يشهد بإخلاص النية، وصدق العمل، ومحاولة الاجتهاد، تحدوني فيه كلمات سهل بن عبد الله: "لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه؛ لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك، لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه"[(2)]، فإن حظي بالتوفيق، فهو من الله، وله الحمد والمنة، وإن شابه تقصير فمن نفسي، سائلا الله –عز وجل- أن يفتح عليَّ من فيوض العلم، وأن يلهمني الصدق، والرشاد، وأن يغفر لي ما بدر من الزلات، وأن يقيل ما وقعت فيه من العثرات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول: مقاربة مفاهيمية

يقدم هذا المبحث تعريفًا موجزًا بمفاهيم المصطلحات الواردة في عنوان البحث؛ لِتنزل هذه المصطلحات بما تحمله من مفاهيم في موضعها المؤطر في معالجة محاور البحث الرئيسة، وهي (الخطاب، الخطاب القرآني، المقصدية، التداولية، الصورة الفنية)، ومن ثمَّ يهدف إلى إدراك الروابط بين تلك المصطلحات، سواء أكانت في ميدان معرفي واحد أم في ميدانين يُظن بينهما التباعد.

1- الخطاب.

ليس من أهداف هذا البحث الإنعام في تحبير الصفحات بالمنقول من الآراء حول التأصيل التاريخي لمصطلح "الخطاب" في الفكر العربي، أو الغربي قديمه وحديثه، وليس من

أولوياته اجترار الحديث حول الأسس الفلسفية التي اعتمد عليها كلا الفكرين في محاولات وضع تعريف جامع مانع لهذا المصطلح، أو وضع ضوابط لمفهوم (الخطاب).

فقد حظيت هذه المقدمات النظرية بمراجع مستقلة، ودراسات متخصصة، ورسائل ومقالات علمية متعددة، لا يصعب الاطلاع عليها[3]. غير أنه من الضروري الإشارة العَجْلى إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي للخطاب مرسلًا، أو مضافًا إلى القرآن الكريم؛ تمهيدًا لما يأتي من محاور البحث وموضوعاته.

(الخِطَاب) -بوجه عام- هو أحد مصدري الفعل: خَاطَبَ يَخَاطِبُ، ويرجع أصله إلى "مراجعة الكلام"[4]، وهو تعريف عام يصلح بيانًا لمصطلحات أُخَر. مثل: "المحاورة" و"المناقرة"، و"المناقلة"، و"المجاوبة". كما أُطلِق على "الكلام"[5] عامة، ثم زاد مفهومه وضوحًا فصار "الكَلَام بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ"[6]، وفي مرحلة أخرى أضيف إلى حَدِّه قيد الإفهام فصار "تَوْجِيه الكَلَام نَحْو الغَيْر للإفهام"[7]، وعرَّفته بعض المعاجم المعاصرة بأنه "كلام يوجّه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات"[8].

وعرَّفَ الآمدي (الخطاب) بأنه: "اللَّفْظ المتواضع عَلَيْهِ المَقْصُود بِهِ إفهام من هُوَ متهيئ لفهمه"[9]، فتحول الأصل اللغوي للخطاب من (توجيه الكلام) نحو الغير، إلى (الكلام الموجّه) نحو الغير، بقصد (الإفهام). غير أن بعض المتأخرين لم ير تهيؤ المخاطَب قيدًا في تعريف الخطاب، فيطلقونه على: "ما يقصد به الإفهام عامة، سواءً كان المقصود من إفهامه متهيّئًا لذلك أم غير متهيّئ"[10]

ثم زاد أبو البقاء الكفوي مفهوم الخطاب تحديدًا، لفظاً ودلالة، في كتابه (الكليات)، إذ أشار إلى عناصر الخطاب، مقترنة بالشرط اللازم لكل عنصر منها. فعرَّفَ الخطاب بأنه: "الكَلَام يُطلق على العبارَة الدَّالَّة بِالوَضْعِ وعَلى مدلولها القَائِم بِالنَّفسِ"[11]، فأضاف بذلك إلى تعريف الخطاب عنصرًا جديدًا يمثل الجانب النفسي، "فالخطاب إِمَّا الكَلَام اللَّفْظِيّ أَو الكَلَام النَّفْسِيّ الموجه نَحْو الغَيْر للإفهام"[12]، وهي إضافة جديدة توحي بحضور عنصر السياق في تحليل الخطاب.

وكون (السياق، وما يكتنفه من مقاصد) عنصرًا من عناصر الخطاب يمثِّل فارقًا مفاهيميًا بينه وبين النص. **فالنص** هو: "مجمل القوالب الشكلية: النحوية، والصرفية والصوتية، بغض النظر عما يكتنفه من ظروف أو يتضمنه من مقاصد. في حين يحيل **الخطاب** على عناصر السياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي، وكذلك في تأويله، مما يفترض معرفة

شروط إنتاجه وظروفه، كما أن هناك فرقًا في العلامات المستعملة؛ فقد ينتج الخطاب بعلامات غير لغوية، كما هو الحال في التمثيل الصامت والرسم الكاريكاتوري، أو الخطاب الإعلاني التجاري"[13]

ويمكن الخلوص من تلك التعاريف والرؤى المختلفة إلى أن "**الخطاب** كلمة تستخدم للدلالة على كلّ كلام متّصل اتّصالًا يمكِّنه من أن ينقل رسالة كلاميّة من المتكلّم أو الكاتب"[14]، ولكون الخطاب حدثًا كلاميًّا فإنه يتألّف من عدّة عناصر هي: المرسِل, والمستقبل/ الجمهور, والرسالة/ الموضوع, والهدف/ المقصد, "ويؤثّر هذا الهدف/ المقصد تأثيرًا جليًّا في استراتيجيّة المرسِل؛ فيملي عليه اختيارات معيّنة من بين البدائل التي يتيحها له النظام اللّغوي, وقد يؤثّر في صورة الحديث وطريقة بنائه, وهو يفسّر الكثير من المتغيّرات الأسلوبيّة التي ترافق عمليّة التعبير اللّغوي"[15]

2- **الخطاب القرآني:**

أما (الخطاب القرآني) فهو "خطاب تنتظمه وحدة بنيوية خاصة؛ فهو نظام فكري، ونظام لغوي، يمتاز بـ(الاتساق/الترابط الشكلي)، و(الانسجام/ الترابط المعنوي). فلا يدانيه أي خطاب آخر في نظم دوالّه، ودقة مدلولاته، وتأليف وتناسق عباراته. إنه خطاب يخاطب العقول، ويناجي القلوب، ويحمل مضامين تفصح عن مراد الله في توجيه حياة الناس"[16]

ذلك أن (الخطاب القرآني) خطاب إلهي، مُعجِزٌ، " **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**" هود: 1، ورسالة ربانية، إبلاغية تهدف إلى" إيصال أمر فيه كفاية وجودة، مع بذل الجهد في إيصاله ونفاذه إلى المراد إيصاله إليه"[17]، "**يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**" المائدة:67.

وهو خطاب عالمي، خاتَم، محفوظ من التبديل، والتحريف " **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**" الحجر: 9، أنزله الله على نبيه محمد ρ "**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** " الفرقان: 1، اقتضت عالميته أن يكون خطابًا للإنسانية كلها، متدفقًا عبر الأزمنة والأمكنة، فهو "كتاب الخلود، ليس كتاب عصر معين، أو كتاب جيل أو أجيال، ثم ينتهي أمده... فلا ينبغي أن نفرض عليه ثقافة عصر معين، أو نَحْمله قسرًا على أفكار جيل خاص، فإن الثقافات تتطور، والأفكار تتغير، والأجيال والعصور تذهب، ويبقى كتاب الله كما أنزله الله. فما تضمن القرآن من تعاليم فهي تعاليم دائمة، باقية، ما دامت الحياة، وبقي المكلفون"[18].

ومن خصوصيته أن "نزول القرآن بلغة ينطقها البشر لا يخرجه عن كونه كلام الله، ولا ينزع عنه الصفة الإلهية، والقداسة الربانية، وإلا لم يكن هناك فرق بين الوحي الإلهي، والتفكير البشري"[19].

وهو خطاب ذو مقاصد تشريعية وأخلاقية، وفكرية، لا تصلح الإنسانية بدونها، تُعرف في إطار المقاصد العامة للشريعة، التي تمثل "الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"[20].

وإلى جانب ما للخطاب القرآني من مقاصد، فإن للقصة القرآنية– الذي تحتوي الجزء الأكبر من خطاب الإخوة - مقاصد متنوعة، وأغراض شتى، تؤثر بقوة في عناصرها التصويرية، كبناء مفرداتها، وتأليف تراكيبها، وفي أسلوب عرضها، كما تؤثر في القيم التصويرية الناتجة عن تفاعل تلك العناصر.

ولعل من أقرب هذه المقاصد إلى موضوع بحثنا هو تحقيق "(الوظيفة الاجتماعية) التي تؤديها القصة في المجتمع، وتخدم بها الحياة والأحياء"[21] مثل: "تخفيف الضغط العاطفي عن النبي عليه السلام وعلى المؤمنين"، و"توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه، ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق، و"تكوين عواطف قوية صادقة ضد كل ما هو قبيح ودميم من الأشياء، والناس"، و"بث الثقة والطمأنينة، أو بذر بذور الخوف والقلق والاضطراب النفسي"[22]، وقد أشار الرازي إلى ذلك المقصد في غير موضع من تفسيره[23].

فإذا سلمت بتفرد الخطاب القرآني، وقنعت بخصوصيته، فلا يمكن الوقوف على شيء من مكنوناته وأسرار الجمال فيه إلا بإدراك أمور ثلاثة هي: مراعاة خصوصية النص القرآني، والعلم بمقاصد الخطاب القرآني ومراميه، و الإحاطة بما يسمى العلوم القرآنية.

ولعلَّ فقدان هذه الأسس الثلاث أو بعضها كان حاجزًا منيعًا دون توفيق كثير من محاولات لاستكناه الخطاب القرآني، في ضوء النظريات المستحدثة، والمناهج اللغوية والنقدية الوافدة. وبالمقابل فتح إدراك تلك الأسس الثلاث سبيلًا للاستعانة ببعض استراتيجيات المنهج التداولي في الوقوف على بعض أسرار الخطاب القرآني واستكناه جمالياته.

ذلك، أنه لا يَقتدر على الاستئناس بهذه المناهج الحديثة في البحث القرآني إلا من امتلك أَزِمَّة العلوم التي أقر العلماء على تسميتها بعلوم القرآن، أو كانت له دراية محيطة متخصصة بها، ومنها علوم البلاغة الرئيسة، حيث يستطيع الباحث الدمج بين تلك العلوم وما يستحدث

من مناهج في إطار المتفق بينها، أو المختلف لصالح الحديث منها، مما لا يعارض ثوابت النص القرآني، ومقاصده.

3- المقصدية

لكلمة (القَصْدِ) في اللغة معانٍ عدة، منها: "استقامَةُ الطَّرِيقِ، والاعْتِمَادُ، والأَمُّ، والإِتْيَانُ، والكَسْرُ، واكْتِنَازُ الشَّيْءِ: أَيْ امْتِلاؤُهُ، ومن المجَاز: القَصْدُ فِي الشيْءِ وَهُوَ مَا بَين الإِسرافِ والتَّقْتِير"[24]

وأما (القصد) في ميدان الاصطلاح فلم يهتم الفقهاء، وعلماء الأصول القدامى (بالمقاصد) تعريفًا وحدًّا، بقدر اهتمامهم بها بحثًا واستنباطًا، وتطبيقًا، مكتفين بالتنصيص على بعض مقاصد الشريعة، أو التقسيم لأنواعها، ولم يكن شيخ المقاصد (الشاطبي) بِدْعًا منهم في ذلك؛ ولعله "اعتبر ذلك الأمر واضحًا مما يغني عن تعريفه .أو كونه كتب كتاب (الموافقات) للعلماء، بل للراسخين في علوم الشريعة"[25]

غير أن المتأخرين من الأصوليين عُنوا بتعريف المقاصد عناية كبيرة؛ بوصفها علمًا شرعيًا يُستدل به على ما يوجب درء المفسدة وجلب المصلحة في سياق مآلات الأفعال، وما يترتب من المعاملات على أساس النية والإرادة، ولأن المقاصد "معتبرة في التصرفات والعبارات، كما هي معتبرة في التقربات والعبادات"[26]، وعرَّف الطاهر بن عاشور المقاصد الخاصة للشريعة بأنها "الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة كي لا يعود سعيهم في مصالحهم الخاصة بإبطال ما أسس لهم من تحصيل مصالحهم العامة إبطالا عن غفلة، أو استزلال هوى وباطل شهوة..."[27]، ويُعرّفها في موضع آخر بأنها "الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتى، أو تحمل على السعي إليها امتثالاً، وتلك تنقسم إلى قسمين: مقاصد للشرع، ومقاصد للناس في تصرفاتهم"[28].

وأوجز الريسوني تعريف مقاصد الشريعة بأنها "الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"[29]

وبعد أن حرَّر طه عبد الرحمن مصطلح المقاصد من حيث أصوله اللغوية؛ للتمييز بينه وبين المصطلحات المتقاربة الدلالة معه، أوضح إجمالًا أن الفعل (قصد) قد يكون بمعنى "حصل غرضًا"، فيشتمل "علم المقاصد" إذ ذاك على ثلاث نظريات أصولية متمايزة فيما بينها: أولاها- نظرية المقصودات، وهي تبحث في المضامين الدلالية للخطاب الشرعي، والثانية- نظرية

القُصُود، وهي تبحث في المضامين الشعورية أو الإرادية، والثالثة- نظرية المقاصد؛ وهي تبحث في المضامين القيمية للخطاب الشرعي"[30]

وليس معنى انصراف تلك التعاريف السابقة للمقصد إلى وجهته الشرعية مجافاته للواقعين اللغوي، والأدبي؛ فالقصد يُعد "بؤرة العملية التواصلية وعاملًا أساسيًا في استعمال اللغة وتأويلها، وقد أدرك (سيرل) ذلك انطلاقًا من القصدية العقلية، حيث استطاع تفسير قصدية الأفعال الكلامية، أو قصدية المعنى، وأكد أن قصدية اللغة هي قدرة أفعال الكلام على تمثل الأشياء في العالم عن طريق حالات عقلية"[31]، وفيما يلي إشارة إلى بعض الأواصر التي تربط المقصدية بالميدانيين اللغوي والأدبي.

- **المقصدية والخطاب:**

يكاد يتفق الموروث الأصولي، واللغوي قديمًا، والمفاهيم التداولية الحديثة على أن العلاقة بين المقاصد والخطاب جد وثيقة؛ فالمقاصد من العوامل ذات الأثر البالغ في توجيه المُرسِل إلى اختيار طبيعة خطابه وطرائق التعبير عنه، كما لا يخفى أثرها في توجيه اللغة، وتأويلها من جهة المتلقي؛ ذلك أن "لكل خطاب شكله اللغوي الخاص به، ولا شك أنّ هناك علاقة بين شكله اللغوي ومعناه؛ لذا، يجب الرّبط بين قصد المرسِل، الذي يريد التعبير عنه في خطابه وشكل اللّغة الدّالة عليه، وذلك من خلال النظر إلى سياق التلفظ بالخطاب"[32]

ما يعني أن دور المقاصد بوجه عام يرتكز على "بلورة المعنى كما هو عند المرسِل، إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده، وانتخاب الاستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى

وتكمن وظيفة اللغة هنا في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب، بما يناسب السياق بمجمله، فتتضح المقاصد بمعرفة عناصره"[33]

فالعلاقة إذن بين المقصدية والخطاب لا يمكن دراستها أو تحليلها فنيًا أو تداوليًا إلا عبر تحليل السياق الذي يعكس بجلاء الهدف الاستعمالي من الخطاب.

ومن ثمَّ، "فالعلم بالمقاصد يغدو ضرورة أساسية في تحقيق الخطاب أغراضه، وإيصال المتكلم مراده إلى سامعيه، بل إن المتلقي للخطاب، بما هو العنصر المقصود بخطاب المتكلم، لا يقدر على ممارسة فعل التأويل ما لم يكن عارفًا بمقاصد المتكلم"[34]

- **المقصدية والسياق:**

في ضوء ما سبق بيانه من أهمية تحليل السياق بأبعاده المختلفة في إدراك العلاقة بين المقاصد والخطاب، تجدر الإشارة إلى ما فطن إليه قدامى النقاد من قيمة السياق في إدراك مرامي الكلام ومقاصده، فكانت القاعدة الذهبية التي وضعها البلاغيون (لكل مقام مقال، ولكل كلام جواب)، ذلك أن دراسة المقاصد التي تعبر عنها الأنظمة اللغوية لا يمكن الاستدلال عليها، أو إدراك مراميها بعيدا عن دراسة السياق الذي أُنتج الخطاب فيه، وتزداد هذه القيمة أهمية وخصوصية في دراسة الخطاب القرآني؛ لما له من صفة (الإبلاغية).

وقد ظهرت التداولية مناهضة للفلسفة اللغوية الزاعمة بأن اللغة في بنائها الذاتي قادرة على التعبير، وحاملة لما اختبأ فيها من أسرار، يراها كل متلقٍ بما يملك من أدوات، ومرجعيات ثقافية خاصة. فأكدت النظرية التداولية أنه لا قيمة للخطاب إن خلا من المقصدية، "فبدون معرفة المقاصد، لا يمكن أن يستدل بكلام المتكلم على ما يريد، لأن المواضعة وإن كانت ضرورية لجعل الكلام مفيدًا، فهي غير كافية؛ إذ لا بد من اعتبار المتكلم، أي قصده"[35]

ولشدة هذه الصلة عُرِّفت التداولية بأنها: "دراسة الطرق التي تتجلى بها المقاصد في الخطاب، ومن أبرز الخطابات التي تدل على ذلك، تلك الخطابات التي تشتمل على الأفعال اللغوية، سواء أكانت تقف عند المستوى الإنجازي أم تتجاوزه إلى المستوى التأثيري"[36]

لذا، أضحت المقصدية منظومة مفاهيمية ذات أصعدة مختلفة، وقوة ناجزة على مستوى الخطاب، ولا يمكن تلمس، أو بلوغ هذه المقصدية إلا بتقصي المعنيين العام والتفصيلي للخطاب، ولا يتسنى ذلك دون دراسة السياق التي يكشف الهدف الاستعمالي من الخطاب، ذلك "أن مفهوم التداولية يمثل مجموع الآليات الاستدلالية التي يقف عندها السياق، والمقاصد هنا هي المستدل عنها في سياقها، أي أن نميز بين معنى العبارة ومعنى المتكلم (الغرض/النية) بمعنى أن هناك غرض(خبر) وهناك نية و(جهة)"[37] أي أن الكشف عن مكنون الخطاب وتداوليته، لا يتحققان إلا في حال الدراسة الدقيقة لطبيعة السياق وصولا إلى المقاصد، وإدراكًا لمدى القدرة الكامنة في لغة الخطاب على موافقة تلك المقاصد، والإفاضة على المتلقي بمكنونها.

- **المقصدية قاسم مشترك.**

علي الرغم من تعدد التعاريف للتداولية واختلافها فإنها تتقاطع جميعها في إيلاء أهمية قصوى للدلالة المقامية من جهة، وللسياق من جهة ثانية، فهما المؤثران الحقيقيان فيما

يتصل بالتداولية من محاور، ومفاهيم مثل: الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، والحجاج.. وغيرهم.

من ثم، عندما حاولت المزج بين التحليل التداولي، والتحليل التصوير الفني، اخترت (المقصدية) مفهومًا أساسًا ينطلق منه التحليل وفق المستويات الأخرى، كما أن المقصدية قاسم مشترك ذو أهمية قصوى لدى المنهجين كليهما، ونقطة تلاقٍ بين آليات (التصوير الفني) و(التحليل التداولي) للخطاب، والتي عوَّل عليها البحث لبيان إمكانية الجمع بين المنهجين في دراسة خطاب الإخوة في القرآن الكريم وتحليله.

ومرجع ذلك ما للتصوير الفني وللتحليل التداولي من وشائج وثيقة بمقاصد الخطاب على النحو التالي:

4- التصوير الفني: أما التصوير الفني فهو منهج يُعنى برصد التفاعل بين كل من عناصر الصورة الفنية، ومظاهرها؛ لإدراك مدى الاتساق والانسجام بين مقاصد القرآن الكريم في خطاب الإخوة، وبين عناصر الصورة الفنية (القرآنية) وقيمها.

فالتصوير، من جهة، "هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، وهو القاعدة الأولى فيه للبيان، وهو الطريقة التي يتناول بها جميع الأغراض"[38]، فضلًا عن دوره في "التعبير عن المعاني المجردة، والحالات النفسية، والمواقف الإنسانية"[39].

و"نعت الأداة بالمفضلة احتراز من مغبة التعميم الذي قد يفهم منه أن أسلوب القرآن الكريم كله تصوير. غير أن العناصر التي يزجيها لفعل التصوير قد تستغرق أساليب القرآن الكريم في كل أنماطه القولية؛ لأنها لا تخص التصوير وحده"[40].

من جهة أخرى، فإن **التصوير** في القرآن الكريم يمثل حجر الزاوية في معايشة مقاصد السياق، فليس عنصرًا تعبيريًا طارئًا، وليس مجرد "حلية الأسلوب، ولا فلتة تقع حيثما اتفق، إنما هو مذهب مقرر، وخطة موحدة، وخصيصة شاملة، وطريقة معينة، يُفتنُّ في استخدامها بطرائق شتى، وفي أوضاع مختلفة"[41]

كما يمثل **التصوير** الأصول العامة للجمال الفني في القرآن الكريم؛ فإن "لهذا الكتاب العظيم خصائص مشتركة، وطريقة موحدة، في التعبير عن جميع الأغراض ... هذه الطريقة الموحدة، والقاعدة الكبيرة، هي (التصوير الفني)"[42]، ومن أبرز الأسباب التي أفردت التصوير في القرآن بهذه المنزلة، أنه يعتمد على الألفاظ وحدها، في التصوير[43]، ومنها تنوع الأنماط التي

يقوم عليها التصوير القرآني، إذ "يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية"[44]، كما "أنها تعرض الحقيقة الواقعة بأسلوب فني مؤثر، دون أن تحيد عن الحقيقة أو تبتعد عنها (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً) النساء: 87"[45]

5- وأما التداولية أو (التخاطبية، أو البراغماتية) (Pragmatics) فقد "نشأت التداولية لتبرر استحالة تقصى الموضوعات، دون أن يكون لهذا التقصي أبعاد سياقية، تتداول فيه المعاني والمقاصد، فلا يمكن للمحلل أن يبادر إلى عملية التحليل دون استحضار السياق، الذي يتداول وفقه هذا العمل"[46]، ما يعنى أن التداولية انتشرت كرد فعل طبيعي لتشومسكي (Chomsky) الذي نظر إلى اللغات باعتبارها أداة مجردة وقدرة عقلية تنفصل تماما عن استخدامات اللغة ومستخدميها ووظائفها.

"فالتداولية ليست علمًا لغويًا محضًا، بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقع عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره"[47]

وقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للتداولية تبعا لاختلاف رؤى الباحثين لمجالاتها أو لمحاورها، لكن من الممكن إيجاز تعريفها في أنها "دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"[48]

فمن مهام التداولية إذًا أنها "تدرس اللغة عند استعمالاها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها (كلاما محددا) صادرًا من (متكلم محدد) وموجهًا إلى (مخاطب محدد) بـ (لفظ محدد)، في (مقام توصلي محدد) لتحقيق (غرض تواصلي محدد)."[49] فضلا عن الاعتداد بالعلاقات السياقية الخارجية للخطاب في تفسيره وتحليله.

ومما يتناوله التحليل التداولي للخطاب؛ تحقيقًا لملاءمته سياقيًا ومقصديًا، ما يلي:

أ- " دراسة مختلف أنواع أفعال اللغة، التي تتيح لنا فهم الفعل المحقق، وشروط استعماله مثل: الوعد والأمر والاستفهام ... بحيث إن خصائص هذه الأفعال، تخضع في أساسها لشروط الاستعمال، وهي شروط تبين إلى أي حد يكون فعل لغوي ملائمًا للسياق الذي يظهر فيه"[50]

لقد أبان ظهور نظرية أفعال اللغة في الفكر التداولي عن أثر المقصدية في التعرف على دلالات الخطاب الجلية والخفية، "فكون النص أو الرسالة تتضمن مؤشرات دلالية لغوية واصطلاحية، هذا لا يعني أن الدلالة ستقف عند حدود هذه المواضعة، بل سيتجاوزها الاستخدام والإنجاز الخاص للمستخدم، فمن ذلك تتولد الدلالة، وتتولد معها آليات استدلالية جديدة"[51]

ب- كما يتناول التحليل التداولي للخطاب "دراسة مختلف الوسائل اللسانية التي يملكها المتكلم من أجل إبلاغ فعل الكلام، الذي يتحقق بصورة مباشرة (واضحة)، أو بصورة غير مباشرة (ضمنية)، انطلاقا من تأويل فعل التكلم، أي التعرف المناسب من قبل المؤول على قصد المتكلم، المرتبط بحضور العلامات اللسانية أو عن طريق سياق القول"[52]

وهنا يلاحظ: أن دراسة المحور الأول في التحليل التداولي للخطاب يقابلها من (عناصر الصورة الفنية) دراسة الصورة الحقيقية في أبواب من علم المعاني كالخبر والإنشاء، بينما تتحمل أبواب علم البيان عبئًا كبيرًا من دراسة العنصر الثاني، فضلاً عن مشاركة مظاهر الصورة من صوت، وحركة، وحجم، ولون في دراسة بقية العناصر الضمنية أو غير المباشرة في الصورة الفنية/ القرآنية.

غير أن هذا البحث سوف يقتصر على رصد نقاط التلاقي بين المنهج الفني والمنهج التداولي في بعض عناصر الصورة، دون مظاهرها؛ لاشتراكهما في الأولى، واستئثار المنهج الفني بالثانية، كما يظهر في الصفحات التالية.

المبحث الثاني: خطاب يوسف υ وإخوته

المقاصد والتحليل الفني/ التداولي

لا يهدف هذا المبحث إلى تحليل خطاب القرآن الكريم عن يوسف وإخوته في الآيات (7 - 18/ 58 – 66 /69- 82/ 85/ 88-93 / 100) من سورة يوسف، عبر دراسة عناصر الصورة الفنية وما يضاهيها من محاور تداولية، كل على حدة؛ للكشف عن مدى اتساقها مع مقصدية الخطاب؛ لأن هذا المنهج من الدراسة –كما أرى- يُقطِّع المشاهد القرآنية إلى فقرات مجزأة، فيتلقاها المخاطَب مرَّة من خلال دراسة عنصر الكلمة في تشكيل الصورة، ومرة ثانية من خلال دراسة عنصر الجملة، ثم عنصر الأسلوب، ثم عنصر الصور الجزئية...

إنما يقدم هذا المبحث دراسة تطبيقية لأثر المقاصد على ذلك الخطاب من خلال التحليل الفني/ التداولي، المتعدد الجوانب، للمشاهد القرآنية التي اتصلت بخطاب يوسف

وإخوته، لا سيما تلك المشاهد التي تصور موقفًا، أو تعالج تجربة، متخذة من الأسلوب القصصي إطارًا لها، بما يكشف عن بعض جماليات التناسق، والاتساق بين تلك العناصر التصويرية، والمحاور التداولية في الخطاب.

بين يدي السورة:

سورة يوسف إحدى السور المكية التي أُفردت للحديث عن قصة يوسف υ بإسهاب وإطناب معجزين، ففصَّلت ما لاقاه من ضروب البلاء والمحن، وأنواع الشدائد والأذى من أقرب الناس إليه، ومن أبعدهم عنه، عبر مراحل عمره المختلفة، التي بدأت بالتآمر للإقصاء والنفي، مرورًا بالمكائد والسجن، وانتهت بالتمكين والملك.

ويلاحظ أن السورة الكريمة تناولت شخصية يوسف υ الإنسان، لا النبي، ومن ثم جاءت ملامحها إنسانية، تحكي قصة نجاح، وانتصار بعد انكسار، وفوز في الدنيا والآخرة. كما تميزت السورة بعرض قصة يوسف من تلك الجهة كاملة مستوفيه عناصر القصة الأدبية، تُعرض فيها المشاهد متتالية متماسكة، تُشعر قارئها أنه يعيش أحداثًا واقعية ماثلة أمام ناظريه في سياق متصل بديع.

وقد تعدد الخطاب في تلك المشاهد بقدر تعدد مواقفها، فمنها ما كان بين يوسف وأبيه، ومنها ما كان بينه وبين إخوته مجتمعين، ومنها ما كان بينه وبين أخيه بنيامين، ومنها ما كان بين إخوة يوسف وحدهم، ومنها ما كان بين يعقوب وأبنائه، فتعددت لذلك مقاصد السورة، والعبر المنشودة من كل مرحلة فيها، وفي كل مشهد منها، فزخرت بمقاصد عامة رئيسة لها، وبأخرى خاصة فرعية، ولعل ذلك أحد الدلالات في جمع كلمة (آيات) في مطلع السورة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ (الآية: 7).

وقد اخترت خطاب يوسف وإخوته نموذجًا لخطاب الإخوة في القرآن الكريم، لأنه جمَّاع لأنماطٍ متعددة من الخطاب تعبر عن حالات متباينة، لا يجمع بينها إلا صلة القرابة بين أطرافها، فهناك خطاب الحسد والتآمر، وخطاب البشارة والتمكين، وخطاب المكر الإلهي والتخطيط الرباني، وخطاب المواجهة والمكاشفة، وخطاب الصفح والمسامحة. إنها أنماط متولدة عن عواطف متغايرة، ولها مقاصد بيَّنة، قلما يخرج خطاب آخر للإخوة في القرآن الكريم عنها.

من المقاصد العامة لسورة يوسف:

- تأكيد صدق النبي محمد ρ في دعوته، وهو ما أشارت إليه الآية الأخيرة من السورة إشارة صريحة.
- التسرية عنه ρ لما يلاقيه من صنوف العنت، والأذى، لاسيما أنها نزلت في عام الحزن.
- بيان عاقبة الإحسان ومآل المحسنين، واستشعار معية الله تعالى لعباده، ولطفه بهم، الذي يحيل المحن منحًا، والضيق فرجًا.
- الدعوة إلى نبذ القنوط واليأس، وما يصحب تلك الدعوة من "دلائل على ما للصبر وحسن الطوية من عواقب الخير والنصر، أو على ما للحسد والإضرار بالناس من الخيبة والاندحار والهبوط"[53]
- "إظهار ما يلقاه الأنبياء من ذويهم وكيف تكون لهم عاقبة النصر والحسنى".[54]
- بيان أثر العاطفة على أقوال المرء وأفعاله.

ولا ريب أن تلك المقاصد العامة وما ينتج عنها من مقاصد خاصة كان لها أثر بالغ في توجيه الخطاب القرآني من حيث خصائصه التصويرية، وتوظيف أدواته التداولية. وهو ما أحاول تلمس ملامحه من خلال تحليل مشاهد الخطاب بين يوسف υ وإخوته فيما يلي.

الخطاب الأول: الحسد والتآمر

قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (10) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)]

بدأ الخطاب القرآني عن يوسف وإخوته قاصدًا إلى التنفير من عاقبة ما بلغه إخوة يوسف من الحسد لأخيهم الصغير، الذي دفعهم في البداية إلى محاجة أنفسهم، وتبرير شعورهم، حتى أوقد ذلك الشعور في نفوسهم رغبة جامعة للتخلص منه، وإقصائه عن أبيه.

وقد تآزرت عناصر الصورة القرآنية، والآليات الاستدلالية التي يقف عندها سياق الخطاب لتعزيز إدراك المقصد العام والخاص في هذا الخطاب، قال تعالى:

[لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (7) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8)]

إنها بداية قوية، اعتمد فيها المشهد القرآني على الأسلوب الحجاجي التوجيهي، الذي قدم فيه النتيجة المؤكَّدة على المقدمة المفسِّرة، وقد ربطت **(إذ)** بينهما؛ ليزداد الحجاج قوة حين جمع أسلوبه بين أدوات التأكيد اللفظية، والبيان التفسيري المعنوي.

فقد أكد قوله تعالى: **(لَقَدْ كَانَ)** ما في شأن يوسف وإخوته من دلائل عظيمة، ومواعظ بالغة عديدة لكل باحث عنها، ومتأمل فيها. ثم يبسط الدليل على هذه النتيجة بتأكيد الباعث الذي أوغر صدور إخوة يوسف، وغرس الحسد والحقد في قلوبهم **(إِذْ قَالُوا: لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا)** حيث جاء تأكيد الخبر باللام واسمية الجملة إشعارًا بأنهم يرون محبة يوسف وأخيه أمرًا ثابتًا في قلب أبيهم، حتى أمسى يوسف وأخوه في نظرهم فريقًا دونهم (أخوه)، ولم يقولوا (أخونا).

وسواء أكانت الواو في قولهم: **(وَنَحْنُ عُصْبَةٌ)** استئنافية توحي بالتحريض على ما ينوي بعضهم فعله من قتل يوسف ونحوه، أم حالية[55] –وهو أقرب- تعلل الباعث على اتهام أبيهم بالضلال وتأكيدهم لهذا الاتهام بما ينفي الشك عن نفوسهم، فقد اتفقوا زاعمين على أن عاطفة أبيهم مختلة المعايير؛ إذ كان مطلبهم أن يقسِّم حبه كتقسيم الميراث بينهم[56].

وبعد أن تهيأت قلوب المتلقين للخطاب، وأثيرت في نفوسهم أسئلة عديدة حوله، شرع الخطاب القرآني يصور ملامح مؤامرة التخلص من يوسف من خلال المراوحة بين الأفعال (الإنجازية) المباشرة وغير المباشرة في صيغتها: الإنشائية والخبرية.

من هذه الأفعال (الإنجازية) الاقتراحات التي قدمها بعض الإخوة بقتل يوسف، أو إقصائه في الأرض. قال تعالى: **(اقْتُلُوا يُوسُفَ)** وهو فعل أمر جاء متكامل التركيب مع جوابه، (يستلزم) غرضًا بلاغيًا حواريًا هو الحث والتوجيه، وفيه دلالة على قدر كبير من الانفعال والاندفاعية المتولدين من عظم الشعور بالغيرة والحسد، والرغبة في التخلص النهائي من يوسف.

لكن سرعان ما أُعقب هذا المقترح بآخر على سبيل التخيير **(أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا)** وهو أيضًا فعل إنجازي في صورة الأمر يستلزم توجيهًا بالإبعاد والإقصاء التام إلى (أرضٍ) بعيدة، غير معروفة لأبيهم، كما توحي به صيغة التنكير، وفيها مجاز مرسل علاقته الكلية، ولا شك أن الاقتراح الثاني أخف ضررًا وأقل وطأة؛ شفقة بيوسف لصغر سنه، أو لتيقظ وازع الخير والإنسانية في نفوسهم، واعتراضه لعماية الحسد والبغضاء في قلوبهم، وتلك من طبائع النفوس الطيبة؛ فقد "كانوا أهل دين ومن بيت نبوءة وقد أصلح الله حالهم من بعد، وأثنى عليهم وسماهم الأسباط "[57]

وتوظيفًا لأسلوب الحجاج الذاتي أعقب الخطاب القرآني هذين الأمرين بجواب في صيغة المضارع، علاقته الحجاجية بما قبله (التعليل)، وقد خلت الجملة من الرابط؛ لقوة الصلة بينهما، وكأنهم على يقين بتحقق مرادهم، ونجاح خطتهم!! وهو قوله: **"يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ"** وفيه استعارة مكنية، كأن الوجه سيفرغ من شيء كان يملؤه، ويصير خالصًا لهم، ولا يبعد أن يكون في كلمة **(وَجْهُ)** مجاز مرسل علاقته الجزئية، ويراد به ذات الأب. ثم عطف على الجواب قولهم: **"وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ"** أي من بعد يوسف إذا أقصي، و"المراد من الصلاح فيه الصلاح الدنيوي، أي صلاح الأحوال في عيشهم مع أبيهم، وليس المراد الصلاح الديني"[58]، أو أنَّ صالِحِينَ تعني "تائبين إلى الله مما جنيتم عليه، أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه"[59]

ويدل الفعلان: (يخل) و(تكونوا) على أن مجلس التآمر شابه الاعتراض، أو تحركت النفس اللوامة بين ضلوع بعض الإخوة، فحاولوا إقناع أنفسهم بنبل المقصد، والقدرة على استدراك فعلتهم بالتوبة أو بصلاح أمرهم.

ومما يزيد الدلالة على عدم اتفاق كافة الإخوة على الغدر بيوسف عليه السلام، وعلى أن الخير متأصل في تكوينهم، عدم إقرار بعضهم لتلك المؤامرة، واقتراحه بديلا يحقق المقصد بأقل الضرر: **"قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ"**. فالقائل أحد الإخوة فهو (منهم)، وكان أمثلهم رأيًا وأتقاهم نفسًا، إذ طرح اقتراحه من خلال أفعال إنجازية، بدأها بالنهي الصريح **(لَا تَقْتُلُوا)** يوسف، ثم ثنَّى بالأمر **(وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ)**، وهما يستلزمان النصح والإرشاد، ثم حاجَّهم في رأيه؛ بأن أعقب الأمر بجواب يعلل المقصد منه **(يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ)** لقد نصحهم بالتخلي عن فكرة إعدام يوسف قتلًا، أو طرحًا في القفار حتى يهلك، والرأي عنده أن يرموه في قعر بئر يضمن حياته، وإبعاده في الوقت ذاته، والذي يكشف عن هذا المقصد عنده تعريف كلمتي **(الجُبّ)** و**(السَّيَّارَة)**

تعريف العهد الذهني، فهو يشير إلى بئر يعرفونه في طرق التجارة والقوافل، لا يخطئه التجار، ويقصده المرتحلون للاستقاء، فإذا عثروا عليه فيه، اتخذوه بضاعة، وباعوه عبدًا في مكان ناءٍ، خوفًا من أن يعرفه أحد من قومه، فإذا لزم سيده فلا يعود بعدها أبدًا.

ومما يوحي بيقين نجاح خطتهم ما خبره من جمال أخيهم، ووديع أخلاقه ما يجعل منه سلعه نفيسة رائجة، لذا عبر الخطاب القرآني عن أخذ السيارة ليوسف بالفعل المضارع (**يَلْتَقِطْهُ**) بما يحمل من دلالة زمنية على أن الرغبة في الفوز به ستراود كل من يراه، وأنه لن يقف حد بيعه على تاجر واحد، وفي هذا ضمان لإبعاده عن أبيهم، فضلا عن الاستعارة فيه، حيث شُبة الأخذ بالالتقاط، أو شبه يوسف باللُّقطة النفيسة.

ويفهم من سياق الخطاب في هذا المشهد أن البئر المعهودة ليست بعيدة القرار، وإلا تكسرت عظامه، وليست كثيرة الماء وإلا غرق، وكأنها حفرة منخفضة تتجمع فيها مياه الأمطار ونحوها، يعزز ذلك أن من معاني (الجُبِّ): البِئْر لم تُطْوَ، والبئر غيرُ البَعيدةِ، وقيل: لا تكون جُبّاً حتى تكون ممّا وُجِدَ لا مِمَّا حفَرَه الناسُ[60].

وعلى الرغم من ذلك اللطف في التخطيط، فلا تزال خيرية صاحب الخطة تؤمله أن ينعم إخوته في التريث والتفكير، لعلهم يرجعون عن مقصدهم، فهو أولى لهم، فجاءت جملته الأخيرة (**إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**) **تعريضًا** بهذا التريث والتراجع المأمولين منهم، لذا جاء الشرط في الخطاب بـ (**إنْ**) التي تفيد الشك وعدم الجزم.

وعندما حاك إخوة يوسف مكرهم، وأجمعوا أمرهم على التخلص من يوسف بعد طول تردد، أجروا مع أبيهم يعقوب υ حواراً حجاجيًا، يستنكرون فيه السياج العاطفي الذي يضربه على أخيهم يوسف؛ حتى إنه لا يأمنهم عليه، وأكدوا له أنهم له ناصحون، حافظون؛ ليطمئن إليهم، وليرسل أخاهم معهم، وهم يدغدغون مشاعره بتذكيره بما تطلبه الصبية من اللهو، واللعب. **(قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(12))** لقد أرادوا بهذه الجمل إنشاء واقع جديد يتخطى فيه أبوهم خوفه على يوسف منهم، حتى يسلمه إليهم، فتعددت في خطابهم الأفعال (الإنجازية) الإنشائية وقلَّت الخبرية. مثال ذلك: النداء (**يَا أَبَانَا**) ويستلزم إشعاره بمكانته في قلوبهم، وبث الطمأنينة في نفسه تجاههم، وفي الإضافة إلى (**نا**) تعريض بأنه ليس أبًا ليوسف وحده، وبأنهم جميعًا أبناؤه، وكذا أسلوب الاستفهام (**مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا**) وغرضه الذي يستلزمه هو الإنكار، ثم جاء الأمر (**أَرْسِلْهُ**) وغرضه الالتماس المتضمن معنى الرجاء.

ولأنهم واثقون من إنكار يعقوب لسلوكهم، ومن شده خوفه على يوسف أن يصيبه منهم مكروه إن فارقه؛ سلك خطابهم مسلكًا حجاجيًا، أعطوه فيه موثقين في جملتين خبريتين تحملان جل أساليب التأكيد لصحة مضمون الخبر (**وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**) و(**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**)، كان الرابط بينها وبين الأفعال الإنجازية قبلها (واو الحال) والعلاقة بينهما تبريرية استدلالية. وعلى منوالها جاء قولهم: (**إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**) فقد أُكدتْ جملة جميعها بإنَّ، واللام، واسمية الجملة، والتعبير عن الخبر بصيغة اسم الفاعل.

ويلاحظ في الجملة الثانية (**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) أنها جاءت معادلًا موازيًا لخطاب الأمر (أرسله معنا)، بوصفها بديلا أسلوبيًا للركن الثاني من الجملة الطلبية، بدليل التأكيد بالجملة الاسمية نفسها[61]

ثم يختم هذا المشهد من خطاب يوسف وإخوته بقوله تعالى: **"فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15)"**

وهو بيان جلي لأحد المقاصد العظمى من القصة، وهو استشعار معية الله تعالى التي تجعل من المحن منحًا، وتحيل أحلك كروب المحتسبين الصابرين من عباده فرجًا لا يخطر ببال، فعندما أخذوا قراراهم وأجمعوا رأيهم، حانت ساعة تنفيذ خطتهم البائسة، كان الإرهاص الأول بنبوة يوسف، يُبث في روعه، وحيًا مؤكدًا من الله تعالى، أنه سيأتي يوم يحاسبهم على فعلتهم هذه، دون أن يتعرفوا عليه، ولعل من دلائل تأكيد الفعل (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ) من قبيل مراعاة حال المخاطب، وإيناسًا ليوسف، وتأكيدا له، وهو لا يزال حديث عهد بوحي الله تعالى. كما أن في مضمون هذا الفعل بشارة ببقائه حيًا، ورعاية الله وكفالته له، وإيناسه في وحشة الجب من حوله.

الخطاب الثاني: البشارة والتمكين

[وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57) وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60) قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62)]

من مقاصد هذا الخطاب تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ببيان عاقبة الإحسان في الدارين، وما يجتبي الله المحسنين من التمكين والتأييد بالفراسة وسعة الحيلة، وذلك من خلال تصوير المفارقة بين حال يوسف وحال إخوته.

بدأ هذا الخطاب بالتأكيد على ما تمتع به يوسف من خلق الإحسان، وعلى ما منحه الله تعالى من عطاء الدنيا منزلة وجاهًا ومالاً رحمة منه تعالى، وجزاءً للإحسان، إنه التمكين في الأرض الذي نسبه الله تعالى لذاته (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ)، ثم أشار إلى بعض أمارات ذلك التمكين بجملة الحال (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء)، وفيها "كناية عن تصرفه في جميع مملكة مصر، فهو عند حلوله بمكان من المملكة لو شاء أن يحل بغيره لفعل"[62]

لقد (جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ) إلى مصر طلبًا للميرة والتزوّد من الطعام؛ بعدما أصاب مصر والشام من سنوات القحط العجاف. وقد أسرعوا بالدخول على يوسف كما يفهم من العطف بالفاء (فَدَخَلُوا عَلَيْهِ)، ثم صورت الآية حال كل منهما تجاه صاحبه، أما يوسف (فَعَرَفَهُمْ) على الفور، على الرغم من تطاول سنوات الفراق بينهم كما يفهم من استخدام الفعل الماضي المعطوف بالفاء، وذلك، لفراسته، ورجاحة عقله، فضلا عن أن العادة ألا تتغير ملامح المرء كثيرا بين مراحل الشباب والكهولة، بخلاف سرعة تغيرها من مرحلة الطفولة إلى الشباب. وأما إخوة يوسف فدخلوا عليه (وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) فجاءت جملة الحال اسمية للتعبير عن إثبات جهلهم به، وتمكين تلك الجهالة من نفوسهم، وأكد هذا المقصد ذكر يوسف بضمير الغيبة، ثم جرُّه بحرف اللام، ثم تقديم الجار والمجرور على الخبر، فلم يقل: وهم ليوسف، أو ينكرونه، وذلك إنعامًا في تصوير شدة جهلهم.

ويشير سياق الآيات إلى أن ثمة أحاديث جرت بين يوسف وإخوته، فأفصحوا عن أخيهم من أبيهم (بنيامين) الذي تركوه لدى أبيهم، وكأن بيع الميرة وعطاءها كانت على قدر عدد مبتاعيها؛ فأرادوا أن يأخذوا حصة من الطعام لأخيهم هذا، فأبي يوسف. وبعد أن أمر بتجهيز الطعام والميرة وما يحتاجون في سفرهم، طلب منهم إحضار أخيهم معهم في المرة القادمة، ومن دلائل حرصه على طلبه استعماله لصيغة الأمر (ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ) وهو فعل إنجازي غير مباشر يستلزم النصح والإرشاد ببيان العاقبة قبل الترغيب والترهيب، وأعقبه باستفهام تقريري (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) يقصد من ورائه تخفيف وطأة الطلب عليه، وإغرائهم بالعودة، والثقة في وعده لهم إن هم أتوه بأخيهم أن يحسن عطاءهم ويكرم وفادتهم.

ثم تتصعّد لغة الحوار في نوع من المراوحة بين الإغراء والتحذير فكان أسلوب الشرط المبطن بالتهديد (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ) " وَلا تَقْرَبُونِ فيه وجهان، أحدهما: أن يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوماً، عطفا على محل قوله فَلا كَيْلَ لَكُمْ كأنه قيل: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، وأن يكون بمعنى النهى"[(63)] فيكون فعلا إنجازيًا، فعلى الرغم من الشك في عدم انصياعهم للطلب كما يفهم من الشرط بـ(إنْ) إلا أنه أكد وعيدهم بتعاقب (لا) النافية لجنس العطاء، و(لا) الناهية عن مجرد اقترابهم منه أو من حدود مصر، ويلاحظ أن في ذكر يوسف لأخيه منكَّراً (بِأَخٍ لَكُمْ) "إظهار عدم معرفته بأخيهم إلا من ذكرهم إياه عنده، فعدل عن الإضافة المقتضية المعرفة إلى التنكير تنابها في التظاهر بجهله به"[(64)].

فما كان منهم إلا أن **"قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ"**، وهو ملفوظ إخباري من أفعال الكلام الالتزامية، ينم عن ذكاء، فلم يجزموا بتحقيق الطلب، ولا بنفيه، بل علقوا الأمر بأبيهم، إلا أنهم وعدوا بالمحاولة الجادة لإقناعه، فالمراودة: المراجعة والمحاولة لفعل أمر يُرادُ، ثم أكدوا بذل وسعهم لإحضار أخيهم بالجملة الاسمية المؤكدة بإنَّ واللام وصيغة اسم الفاعل (**وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ**).

ومن جهته، وبأسلوب جمع بين الأمر المُنجِز والرجاء، أمر يوسف خدمه أن يردوا على إخوته مالهم الذي ابتاعوا به الطعام، بأن يضعوه خفية في رحالهم؛ آملا أن يعرفوه بوصفه أو بالصرر التي كان مصرورًا فيها، إذا رجعوا إلي أهليهم، فيدركوا أنه عطاء من عزيز مصر، فيكون عونًا لهم على سرعة العودة لشراء ميرة أخرى في وقت قريب، ولعله أدرك من حديثهم شظف حالهم، فقصد أن يعينهم عليه "وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ".

الخطاب الثالث: مكر الله ليوسف ט (الآيات من (69) إلى (82))

ومن مقاصد هذا الخطاب بيان عظمة التدبير الإلهي، والتأييد الرباني، والحكمة في تيسير الأسباب لإنفاذ مراد الله، ورد الحقوق إلى ذويها.

فقد بدأ الخطاب في هذا المشهد بدخول إخوة يوسف عليه للمرة الثانية بالهيئة التي أمرهم بها أبوهم **[وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(69)]** ، وفيه تصوير لتلهف يوسف إلى لقاء شقيقه بنيامين، فقد كان أول ما فعله (آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ)، ودون فاصل زمني أسر إليه (إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) وهي جملة حوارية خبرية تستلزم عدة معانٍ، منها: أنها كناية عن شدة تقريبه منه؛ شوقًا إليه، والأصل في معنى الإيواء:

العودة إلى المنزل والرجوع إليه، كما قصد بها إخباره سرًا بأنه أخوه يوسف الذي ظنه مقتولًا، لذا قدم له نفسه بجملة اسمية مؤكدة تنزيلا له منزلة المنكر لحقيقة الخبر، كذلك يقصد بهذه الجملة تسلية قلب أخيه عما مضى من قسوة إخوته معه التي عبر الفعل المضارع عن استمراريتها على مر السنين (يَعْمَلُونَ)، حتى أمست مدعاة لحزنه وشكايته، كما يفهم من نهي يوسف لأخيه بهذه الصيغة الإنجازية المباشرة **(فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** يقال: ابْتَأَسَ الرجل إذا بلغه شيء يكرهه، ولا تَبْتَئِسْ أَي لا تحزن ولا تَشْتَكِ[65]. ويلاحظ أن الخطاب القرآني استعمل أسلوب النهي هاهنا مفردًا، لا يشاركه أسلوب طلبي آخر؛ لدلالة مقصودة، هي بعث المتكلم جوًا من الاطمئنان إلى السامع[66]، الذي شعر بالوحدة بعد أن أمر يوسف بإنزال كل اثنين في منزل، فبقي أخوه منفرداً؛ فضمه إليه[67].

وسرعان ما تبدأ المكيدة التي ألهمها الله ليوسف؛ كي يضم إليه أخاه، إذ أمر خدمه بإخفاء صواعه في رحل أخيه، وبعد اتهامهم، ودفاعهم للتهمة عنهم، وحكمهم على أنفسهم بقبول ما يقضي به دين الملك في السارق، لثقتهم أنه ليس منهم، أمر يوسف بتفتيش أمتعم، على أن يبدأ خدمه وأعوانه بمتاع إخوته؛ درءًا لشبهة التآمر عليهم.

فلما استخرج الصواع من رحل أخيه، بهتوا، وأصابتهم المعرة بعدما أكدوا نفي الفساد والسرقة عن أنفسهم (قالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ ما جِئْنا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ)، وقد اتبعوا في نفي هذه التهمة نهجًا حجاجيًا واضحًا، بدأ بالقسم، ثم نفي عموم الإفساد عنهم فضلا عن خصوصية السرقة، يقول الزمخشري: "تَاللَّهِ قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم. وإنما قالوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ فاستشهدوا بعلمهم. لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرّتى مجيئهم ومداخلتهم للملك"[68].

فلمَّا استُخرج الوعاء من رحل أخيهم، انكشفت طويتهم؛ فكان ما أهمهم دفع تلك المعرة عنهم، دون أخيهم، وتنزيه ساحتهم منها، ولو كذبًا وبهتانًا، "**قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ**" فكان "عذرا بأن أخاهم قد تسربت إليه خصلة السرقة من غير جانب أبيهم فزعموا أن أخاه الذي أشيع فقده كان سرق من قبل... فهذا اعتذار **بتعريض** بجانب أم أخويهم وهي زوجة أبيهم"[69]

ولعل في تعبيرهم عن سرقة بنيامين بصيغة الشك المتمثلة في (إنْ الشرطية والفعل المضارع)، وتعبيرهم عن سرقة يوسف بصيغة التأكيد المتمثلة في (قد والفعل الماضي) ما يصور شدة حسدهم ليوسف وغيرتهم منه على الرغم مما فعلوه به، منذ زمن بعيد، وهو ما لا ينطبق

بالقدر ذاته على شقيقه الأصغر، أو ربما كان السر وراء التعبير بهذين الأسلوبين، ما يشعرون به من حرج أمام أخيهم يحول دون الجزم بتهمته، في حين أغراهم غياب يوسف عن المشهد، في اعتقادهم، أن يجزموا في الادعاء عليه زورا وبهتانًا.

وفي أسلوب خبري تقريري مؤكد بالترادف بين جمله قال تعالى: **(فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ)** أي: أسرَّ يوسف اتهامهم له في نفسه، ولم يبد غضبه منهم، "ويجوز أن يكون ضمير الغيبة في (فأسرها) عائد إلى ما بعده وهو قوله: **قال أنتم شر مكانًا**"[70]

حاول الإخوة مناشدة يوسف، واستعطافه، واستثارة فضيلة الإحسان في نفسه مستخدمين فعلين إنجازيين مختلفين: النداء، والأمر **"قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"**، وفي هذا الخطاب مفارقة ذكية تخدم مقصدهم، وتدعم حجاجهم؛ إذ نادوا يوسف بيا النداء ولقبوه بالعزيز؛ إعلاء لشأنه، وإقرارًا بتمكينه، بينما استشفعوا لأخيهم بأبيه، وقد نعتوه بالأبوة والشيخوخة والكِبَر، وهي صفات تقتضي الترفق، وتستلزم جبر الخاطر، ولا أحسب المراد بالكبر هاهنا كبر المنزلة في قومه، ذلك أن مقام الاستعطاف يستدعي تصوير الشيخوخة وما لها من وهن بدني ونفسي، وفي ذلك **تعريض** بمدى حبه لأصغر أبنائه، وتعلقه به، وعدم قدرته على فراقه. ثم عللوا أملهم في تلبية سؤالهم بتأكيد ما عاينوه من إحسانه، وكريم أخلاقه.

فجاء رده مخيبًا لآمالهم **"قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ"** فأكد التجاءه إلى الله ليعصمه من فعل ذلك، كما يوحي بذلك التعبير أولًا بالمفعول المطلق (معاذَ)، وآخرًا بإنَّ واللام واسمية الجملة، وسواء أكان استخدام ضمير المتكلم للجمع (نا) يفيد التعظيم، أم التواضع بادعاء أن القرار ليس له وحده. فإن مقصده على كلا الفهمين هو دفع ظن إخوته في إمكانية تحقيق ما يأملون.

فلما انقطع رجاؤهم في إجابة يوسف لطلبهم، خرجوا عن مجلسه، وشرعوا يتدبرون أمرهم سرًا بمنأى عن الأعين، ذكرهم أكبرهم سنًا بميثاق الله الذي قطعوه لأبيهم أن يرجعوا إليه بابنه الصغير، فكيف سيصدقكم، ولا يزال ما فعلتم بيوسف ماثلًا في خلده لا يفارقه **"فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ"**، فالاستفهام في الآية تقريري، والسين والتاء في (اسْتَيْأَسُوا) للمبالغة[71] كقوله: (فاستعصم)، وقيل: للتأكيد فهو كقوله تعالى: (فاستجاب لهم ربهم). وأما "خلَصُوا نَجِيّاً فمعناه تَميّزوا عن الناس يَتَناجَوْن فيما أَهَمَّهم"[72] وفي هذه الحال ما

يدل على شدة اهتمامهم بالأمر، وتحرجهم في الخروج من الموقف بين إصرار العزيز، وانتظار الأب. عندئذ قرر كبيرهم البقاء في مصر دليلا على صحة خبرهم، انتظارًا لحكم والده، أو لقضاء ربه، ثم خاطب إخوته بأسلوبي أمر صريحين يستلزمان النصح والتوجيه **(ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا..)** إنه ينصحهم أن يخبروا أباهم بما حدث، ولقنهم عبارات لطيفة، تخفف وقع الخبر عليه **"فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ"** وهي جملة خبرية تقريرية تعبر عن قناعة العزيز، أما هم ففي شك مما اتهم به، وقد حاولوا دفع التهمة عنه، دون جدوى **"وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا، وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ"**، وقد قدموا لمضمون الخبر بإظهار منزلة أبيهم في نفوسهم كما يستلزمه النداء بـ (يا).

ثم صعَّدوا أسلوب خطابهم ليجابه الإنكار المتوقع من يعقوب، فاستعملوا أسلوب الأمر الذي خرجت دلالته، حسب السياق، عن وجه الإلزام والإيجاب إلى الإيناس والتطمين، لدفع التهمة عن المتكلم، وليتحقق أبوهم بنفسه من صدق خطابهم، فقالوا: **"وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا"** في العبارة مجاز مرسل علاقته المحلية، فقد قصد أهل القرية وهي مصر ممن شهد الموقف، ورفاق القافلة القادمين معهم من مصر، ثم يستبقون النتيجة بتأكيد صدقهم باسمية الجملة وإن، واللام، وصيغة اسم الفاعل، مع التعبير عن ذواتهم بضمير المتكلم للجميع تعظيمًا لشأنهم يكونوا في إخبارهم من الكاذبين.

الخطاب الرابع: المواجهة بين يوسف وإخوته

[فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92))

رجع أبناء يعقوب إلى مصر؛ استجابة لدعوة أبيهم لتحرير أخيهم بنيامين من عزيز مصر، وللجد في البحث عن يوسف، دون يأس أو كلل، فلما دخلوا على يوسف مهدوا لمقصدهم بخطاب حجاجي علاقته السببية، بدأوه بتعظيم منزلته بالنداء بحرف (يا) ونعته بالعزيز معرفًا، ثم أتبعوا النداء بملفوظ إخباري من أفعال الكلام التقريرية لبيان عظم ما أصابهم من الضر جراء الجفاف، وهو ما عبَّرت عنه بالاستعارة التبعية في وقوله: **(مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ)**، ذلك أن المس: هو وضع اليد على الشيء مباشرة أو بآلة، فقد استعير للإصابة، تجسيدًا لشدة الشعور

بالضر، وملازمة الفاقة، ولتكون هذه الجملة الإخبارية تعليلاً للمقصدين اللذين عادا لأجلهما، أولهما: التماسهم وفاء العزيز لهم الكيل على الرغم من مالهم القليل، وبضاعتهم الرديئة، كما يعبر عنه فعل الأمر الإنجازي **(فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ)**، وثانيهما- التعريض بإطلاق سراح أخيهم، إحسانًا منه وتصدُّقا عليهم كما يفهم من التعبير بفعل الأمر **(وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا)** وهما فعلان إنجازيان، سبق أولهما بفاء السببية، يستلزمان الالتماس والرجاء.

وقد عللوا حسن ظنهم فيه بتأكيد حقيقة لا تخفى عليه، **(إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)** وهو ملفوظ إخباري من أفعال الكلام التقريرية، ومن مستلزماته الحوارية أنه تنزيل للعالم بالخبر منزلة المتردد إنعامًا في استعطاف العزيز واسترحامه، وفيه **تعريض** بعدم قدرتهم على مكافأة إحسانه، وتصدُّقه. وكأن التعبير بالمضارع ها هنا إثبات لحقيقة ربانية، هي استمرارية الجزاء ودوامه بقدر استمرارية التصدق.

هاهنا، حانت لحظة المواجهة، فإخوة يوسف يعيشون حالة من الضعف، والفاقة، والتذلل، ينتظرون بعد عرضهم إجابة شافية بوفرة العطاء، وعتق رقبة أخيهم، "والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدّق عليهم، ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم، فلم يتمالك أن عرّفهم نفسه"[73] فكان الرد الذي صدمهم قوله: **" قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89)"**، إنه استفهام تستلزم التوبيخ والإنكار الخالي من التشفي والشماتة، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم في حق يوسف وأخيه، وما أقبح ما أقدمتم عليه[74] من طرد، وتآمر، ونفي، وسوء معاملة، إلا أن رحمته سبقت غضبه، اتساقا مع خلق الإحسان من جهة، واستدراكًا لهم كي يجلبوا أبيه من الشام، فيجمع شملهم جميعًا. لذا قال كأنما يلتمس لهم العذر، "وفيه تعريض بأنهم قد صلح حالهم من بعد"[75].

وقد أعربت إجابتهم عن أنه كان لديهم بعض الدلائل والعلامات التي تقودهم إلى أنه يوسف[76]، غير أنهم ما كانوا مستوثقين **(قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ)**، من هنا، جاء جوابهم في أسلوب استفهام تقريري، مؤكد بإنَّ، ولام الابتداء، وضمير الفصل، ليؤكد حدسهم فيه، وجاء رده عليهم (أنا يوسف) في أسلوب خبري تقريري مجرد عن التأكيد؛ لبيان أنهم كانوا متحققين من ذلك، وأما قوله (وهذا أخي) خبر مستعمل في التعجب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة، فجملة (قَدْ مَنَّ الله علينا) بيان للمقصود من جملة وهذا أخي[77].

ثم تذيل الآية بجملة من مفاتيح بيان المقاصد العامة للخطاب في السورة، هي قوله: **"إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"**، وهي تعليل لما قبلها، وفيها إعلان بأنه

وأخوه من المتقين والصابرين، وفيه حث لإخوته على التخلق بهاتين الصفتين، كما يُعد هذا الخطاب "تعريضًا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم"[78]

فاعترفوا بذنبهم، وأقسموا على يقينهم في أن الله هو من حبى يوسف بالتفضيل عليهم في العطاء الدنيوي، لما اتصف به من التقوى والصبر، والإحسان " **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** "، فما كان من يوسف إلا أن عفا عنهم " **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** "، فأخبرهم: أن لا تأنيب ولا لوم عليهم، وأن الله يغفر لهم ساعة توبتهم هذه ما وزروا.

ولا يزال يوسف يرتقي في معارج الإحسان، والتسامح، والعفو، والتصبُّر الذي وهبه الله تعالى حتى بلغ الذروة في المشهد الختامي للقصة، "**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)**"، فقد أسند كافة الأفعال الواردة في خطابه إلى الله تعالى، عدا فعل واحد، وهو قوله: (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) على الرغم من إشارة بعض تلك الأفعال إلى وقائع حدثت قبل ذلك الفعل وأخرى وقعت بعده. إذ كان في نسبة النَّزْغِ إلى الشيطان " فكلمة (بعد اقتضت أن ذلك شيء انقضى أثره. وقد ألم به إجمالا اقتصارا على شكر النعمة وإعراضا عن التذكير بتلك الحوادث المكدرة للصلة بينه وبين إخوته فمر بها مر الكرام وباعدها عنهم بقدر الإمكان إذ ناطها بنزغ الشيطان"[79]

كما أن في الفعل (نزع) استعارة تبعية، حيث شبه حالة الإفساد بين النفوس بنزغ الرجل الدابة ونخسها.

الخاتمة

وبعد أن يسر الله – تعالى- بتقديم هذا النموذج التحليلي لخطاب الإخوة في القرآن الكريم بين يوسف υ وإخوته، في محاولة للدمج بين آليات المنهجين: الفني والتداولي، من خلال قاسم مشترك بينهما هو (المقاصد)، وما تأثر بها من الأبعاد التداولية، وعناصر الصورة الفنية، فقد تمخض البحث عن بعض النتائج والقناعات لعل من أهمها ما يلي:

(الخطاب القرآني) خطاب إلهي، عالمي، مُعجِزٌ، ورسالة ربانية، إبلاغية، وهو خطاب ذو مقاصد تشريعية وأخلاقية، وفكرية، لا تصلح الإنسانية بدونها، ولها تأثير قوي في تشكيل عناصر الصورة القرآنية/ الفنية.

للمقاصد أهمية لا تُنكر في فهم معطيات الصورة الفنية/القرآنية، واستكناه مشهدها، وتشكيل عناصرها، يقابل ذلك العناية التداولية القصوى بالعلاقة بين المقصدية والخطاب، والسياق، بوصفهما المؤثرين الحقيقيين فيما يتصل بالتداولية من محاور، ومفاهيم مثل: الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، والحجاج...؛ حتى عُرِّفت التداولية بأنها: "دراسة الطرق التي تتجلى بها المقاصد في الخطاب".

يتضح ما سبق أن (المقصدية) كانت قاسمًا مشتركًا ذا أهمية بالغة لدى المنهجين كليهما، ونقطة تلاقٍ بين آليات (التصوير الفني) و(التحليل التداولي) للخطاب، ما عزز إمكانية الجمع بين المنهجين في دراسة خطاب الإخوة في القرآن الكريم وتحليله.

كشفت نظرية أفعال اللغة في الفكر التداولي عن أثر المقصدية في التعرف على دلالات الخطاب الجلية والخفية.

يُعنى التحليل التداولي للخطاب دراسة مختلف أنواع أفعال اللغة، التي تتيح فهم الفعل المحقق، وشروط استعماله، ويقابل هذا المحور من (عناصر الصورة القرآنية/ الفنية) دراسة الصورة الحقيقية في أبواب من علم المعاني كالخبر والإنشاء، ودلالات (حروف المعاني).

كما يُعنى التحليل التداولي للخطاب دراسة مختلف الوسائل اللسانية التي يملكها المتكلم من أجل إبلاغ فعل الكلام، الذي يتحقق بصورة مباشرة (واضحة)، أو بصورة غير مباشرة (ضمنية)، وهو ما يقابل من (عناصر الصورة الفنية) أبواب علم البيان وما تتضمنه من صور جزئية.

مما اختصت به عناصر الصورة الفنية وامتازت به عن آليات التحليل التداولي (أسلوب التعرض)؛ فدلالة التعريض على المعنى الخفي المراد دلالة سياقية مقامية، وليس دلالة لفظية. وقد كان لهذا الأسلوب دور لطيف في الربط بين مضمون الخطاب ومقاصده.

تعددت صور الخطاب في المشاهد القرآنية بين يوسف وإخوته بقدر تعدد مواقفها؛ وتبعًا لتعددت مقاصد السورة، والعبر المنشودة من كل مرحلة فيها، وفي كل مشهد منها، إذ زخرت بمقاصد رئيسة عامة، وبأخرى فرعية خاصة بذلك الخطاب، مما كان له تأثير كبير في توجيه الخطاب القرآني من حيث خصائصه التصويرية، وتوظيف أدواته التداولية.

عُرفت ظاهرة الاستلزام الحواري في التحليل التداولي عند علماء البلاغة والأصول العرب القدماء بمصطلحات شتى، منها: (الأغراض التي تؤديها الأساليب، دلالة المفهوم، المعنى المقامي،

والمعنى الفرعي)، وهي تتحقق لدى البلاغيين في الأغراض البلاغية للأساليب الإنشائية، وتتحقق في الأسلوب الخبري عند إدراك لازم فائدة (مستلزمات) الخبر، وعند العدول بالخبر عن مقتضى الظاهر لاعتبارات بلاغية (كتنزيل العالم منزلة الجاهل، أو تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد، ونحو ذلك.

على الرغم من أهمية البعد الحجاجي في الخطاب القرآني؛ كان قليلاً بين الإخوة في سورة يوسف لاسيما الخطاب بينهم وبين يوسف، ولعل السبب في ذلك وقوفهم من يوسف موقف ذي السلطان، المتفضل على قاصديه.

مثَّل الخيال الجزئي لاسيما (الاستعارة، ثم الكناية، ثم المجاز المرسل) مثَّل فارقًا ملحوظًا بين آليات التحليل التداولي والتصوير الفني؛ حيث كان من أقوى أدوات التصويرية التي تعين المتكلم في التعبير عن ذاته ومقاصده، بما تجسد وتشخص من معانيه.

وقد تبين أنه لا مشاحة في توظيف آليات المنهج التداولي إلى جوار المنهج الفني في كشف بعض أسرار الخطاب القرآني في ضوء مقاصده، شريطة أن يلتزم المنهج التداولي بقدسية النص القرآني وخصوصيته، فضلًا عن إلمام الدَّارس بأبرز قواعد وأسس العلوم اللازمة لفهم الخطاب القرآني فهما صحيحًا.

الهوامش:

(1) يتمثل خطاب الإخوة لنسب في القرآن الكريم في آياتِ قصص ابني آدم (قابيل وهابيل)، ويوسف وإخوته، وموسى وهارون، وموسى وأخته، وبعض مشاهد القيامة من نحو قوله تعالى: " يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ" عبس: 34.

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي. ط1376،1 هـ - 1957م، 9/1.

(3) ينظر على سبيل المثال: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، وخلود العموش، الخطاب القرآني والعلاقة بين النص والسياق.. و مؤيد عبيد، الخطاب القرآن: دراسة في البعد التداولي.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د-ت، 222/4، علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، 122/5.

(5) جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط3، 1414هـ/ 1994م، 361/1.

(6) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية – بيروت (د-ت)، 173/1.

(7) محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس. تح: عبد الستار أحمد فراج، سلسلة التراث العربي، تصدرها وزارة الإرشاد والإنباء بالكويت، 1385ه/1965م، 70/1.

(8) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429ه/ 2008م، 660/1.

(9) أبو الحسن الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي- بيروت، د.ت، 95/1.، كما ينظر: محمد على التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996م، 749/1.

([10])عبد الواسع الحميري، الخطاب والنّص" المفهوم – العلاقة – السلطة"، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 2008م، ص 2.

([11]) أيوب بن موسى الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية). تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص 419.

([12]) الكليات، ص 419.

([13]) عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004م.

([14])محمد عبد المجيد عبد الواحد. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق. بحث ماجستير، جامعة المدينة العالمية – بماليزيا، 2014م، ص 7.

([15]) المرجع السابق. ص 8.

([16]) لطفي فكري الجودي، جماليات الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 1435ه/2014م، ص 95.

(17) عبد الكريم حاقة، إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص –دراسة في سورة البقرة. رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكر: ص 65.

([18]) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم:،دار الشروق، القاهرة، ط3، 1421ه/ 2000م، ص 63.

(19) المرجع السابق، ص 22.

(20)أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، من إصدارات المعهد العالي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 4، 1995م، ص 18.

(21)محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم. دار سينا، ومؤسسة الانتشار العربي للنشر، بيروت، ط4، 1999، ص 226.

(22) تراجع تفصيل تلك المقاصد: الفن القصصي في القرآن الكريم. ص 229- 244.

(23) ينظر من تلك المواضع تعليق الرازي في تفسيره: مفاتيح الغيب على الآيات (71، 72) من سورة يونس، 282/17.

(24) ينظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ق ص د).

(25) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص 17.

(26) فطومة لحمادي، نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية، رسالة دكتوراه مخطوطة في كلية الآداب واللغات- جامعة محمد خيضر- بسكره، 1432هـ/ 2011م. ص 186.

(27)محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، عمان، الأردن، 2001، ص 154.

(28) المرجع السابق ص 142.

(29) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص 19.

(30) طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 99- ط 2،2005،ص 98، 99.

(31) نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية. ص 275.

(32) يونسي فضيلة، الخطاب- مفهوم المقاصد وعلاقتها بالخطاب. دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، الجزائر، العدد 19/ 2015، ص 287.

(33) استراتيجيات الخطاب ص 180.

(34) نظرية المقاصد بين الأصوليين واللسانيات التداولية. ص 274.

(35) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص ن.

(36) المرجع السابق، ص 198.

(37) نعار محمد، المقصدية في الخطاب السردي المعاصر، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2014م، ص 69.

(38) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم. دار الشروق، القاهرة، ط 16، ص 36، وينظر: ص 70.

(39) عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن. فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط1، 1422 هـ - 2001 م، ص 7.

(40)د. حبيب مونسي. آليات التصوير في المشهد القرآني. قراءة في استطيقا الصورة الأدبية. مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب- دمشق، ع91، سبتمبر 2003، رجب 1424، ص 2.

(41) التصوير الفني في القرآن الكريم ص 37.

(42) المرجع السابق ص 35.

(43) ينظر: المرجع السابق ص 66.

([44]) المرجع السابق ص 36.

(45) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص 46.

([46]) المقصدية في الخطاب السردي المعاصر، ص 68.

([47])مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005م، ص 16.

([48]) شهرزاد بن يونس، الخطاب القرآن من منظور تداولي، مجلة منتدى الأستاذ، بقسنطينة – الجزائر، ع 14، 2014م. ص 233.

([49])التداولية عند العلماء العرب. ص 26.

([50]) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير- مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب 2006 ص 99.

([51]) المقصدية في الخطاب السردي المعاصر ص 69.

(52) عندما نتواصل نغير، ص 99.

(53) محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ، 12/ 218.

([54]) المرجع السابق 11/13.

([55])أبو القاسم محمود الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407 هـ- 1987م، 446/2.

(56) ينظر: د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن. دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني. علم الكتاب بالقاهرة. ط1، 1413، 1993، ص 402.

([57]) التحرير والتنوير 223/12.

([58]) المرجع السابق 224/12.

([59]) الكشاف 447/2.

([60]) لسان العرب مادة (جبب).

([61]) علاء الدين الغرابية، الجملة الطلبية في سورة يوسف دراسة تركيبية دلالية. مجلة دراسات، مجلد 41، ع1، 2014م. ص 401.

([62]) التحرير والتنوير 10/13.

([63]) الكشاف 484/2.

([64]) التحرير والتنوير 13/13.

([65]) لسان العرب مادة (بأس).

([66]) الجملة الطلبية في سورة يوسف، ص 406.

([67]) الكشاف 470/2، محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن. تقديم ومراجعة: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م،371/6.

([68]) الكشاف 490/2.

([69]) التحرير والتنوير 34/13.

([70]) المرجع السابق 35/13.

([71]) الكشاف 494/2. ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ- 1998م،. 173/3.

([72]) لسان العرب مادة (خلص)

([73]) الكشاف 500/1.

([74]) فتح البيان في مقاصد القرآن. 393/6، محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ- 1995، 45/7.

([75]) التحرير والتنوير 47/13.

([76]) روح المعاني- تفسير الألوسي 46/7.

([77]) ينظر: التحرير والتنوير 49/13.

([78]) المرجع السابق 49/13.

([79]) المرجع السابق 57/13.